قصائد صوفية لـ:

شمس الدين الأخلاطي

إعداد وتَرْجَمة : عبدالرحمن مزوري

* شمس الدِّين الأخلاطيّ، شاعرٌ كردي عظيم، بَليغُ الأسلوبِ فَصيحُهُ.. صحيحُ السبكِ مَتينُهُ.. صائغ المعاني العميقة... بحرُ الرموز الدقيقة ... أدار كؤوساً في العِشقِ أسكرت الندامىٰ .. وأجرىٰ انهاراً في الوجدِ أعذب من الشَّهد .. إنَّهُ منار أنوار الصوفية.. وشهابهم الثاقب أبداً.
* ولِدَ شمسُ الدين في بلدة أخْلاط، من أعمال بدليس في ولاية هكاريا عام 997هـ 1588م ، وكان يأتي باديناں مع قبائل الارتوشيين الرُّحل سنوياً، للارشاد ونشر طريقته الصوفية. الى ان أعطاه سلطان العمادية [سيدي خان] سَبْعُ قُرىٰ من قرىٰ المزورية، فأستقرَّ نهائياً في [بريفكا].
* إنَّهُ المؤسس الحقيقي [لتكية بريفكا] الصوفية.. وكانت طريقته في باديْ الأمر، [خَلْوتييه ـ سَهْروردية] .. ثم اضيفت اليها في عهد حفيده الشاعر المُبدع نورالدين البريفكي، الطريقة القادرية.
* عاصر الاخلاطي الشاعرين العظيمين الخالدين الجزيري وته‌يران... إذ إنهم من شعراء القرن العاشر الهجري ـ السادس عشر الميلادي، ومن أوائل من كتبوا الشعر بالكرمانجية الشمالية، حَسْبَ أوثقِ الأدلة المتوفرة حتى اليوم.
* شاهد ديوانه حفيدهُ الشاعر الشامخ نورالدين البريفكي فيقول عنه ـ اي عن الأخلاطي ـ [انه صاحب الديوان العجيب ! بلغة الاكراد] وسيرىٰ القاريء قسماً من تعليقات نورالدين في حواشي بعض قصائده التي ترجمناها، وربما يستنتج منها انه كان فعلاً صاحب لغةٍ كردية صوفية [عَجيبة !]

* ويذكرُ المؤرخ الشاعر أنوْر المائي أيضاً، إنَّ لهُ ديواناً شعرياً بالعربية والكردية.. وقد شاهده [المائي] مخطوطاً ومحفوظاً عند حفيده الشاعر ممدوح البريفكي، ويقول عن أشعاره انها [في منتهىٰ الفصاحة والبَلاغة!].
* خَمَّس بعض قصائده بأسلوب جَزل رقيق حفيده الشاعر نورالدين البريفكي، فحفظها منَ التلَف والنسيان. كما شرح البعض من إشاراتها ورموزها الصوفية، لما فيها من التَّبحر والعُمق فأعطاها لذَّة ورونقاً جديداً.

* إطَّلعنا على بعض قصائده الكردية، إذ يوجد [ست] منها في مكتبتنا، قطفناها من مخطوطات الشيخين الجَّليلين بشير محمد طاهر الركاڤي وعبيدالله محمد أمين الأتروشي، أدامَ الله فضلهما. وهي فعلاً في غاية العُمقِ والبلاغة، وقد نشرنا [البعض] منها في الصحف والمجلات الكردية العراقية.
* توفي [الأخلاطي] سنة 1085هـ ـ 1674م بعد ان عاش [88] عاماً قضاها في التَّهجُدِ والعبادة وتلاوة الاشعار... ودفن في قرية [بريفكا] ولا يزال قبره هناك يُزار.

[1]

اليوم من وجدي
لا أفرق بين ،
الأعداء والخلان
بَيْنَ
الورد والشوك
فالفؤاد يا خِلي
لم يحترق مرة فحسب
بل إنّه [كباب] دائم
إصفر وجهي ،
. . في خريف الفراق
فلا وصال ولا رؤىً ،
لأنّك المخفي والمحجوب
نبكي لَيْلَ نهار
وتنهمر دُموعنا كالغيث
فتبكي معي ،
الشجر والحجر
كُلُّه في فراقك ايها الساقي
فلا صَبْرَ لنا ولا سكون
نَعيشُ في ظلام الحفر،
كالضباع
نَلْهُو مرة مع الأصحاب
ونضيع مراتٍ ،
. . في المغاور والكهوف
كله في عشقك أيها الحبيب
نَنُوحُ في الممالك
والأمصار
وقعت في لج الهموم . .
كسفينة محطمة
وهيهات للغَريق ،
ان يطأ الشواطئ . . ؟!
إنه سلك طريق الهوىٰ ،
وأرتقىٰ مقامات الكمال
وأمضىٰ الليالي ،
سائراً
في الجبال والوهاد
وعليه
يئنُّ هذا [الخلوتي] ويصرخُ[1]
أبداً
فاعذروه بكرمكم ،
ايها الخلان

[2]

مخمور أنا . . .
من خمر مَحبة الحقِّ[2]
وأصيح يا حبيبي ،
لبيك لبيك
تجرعت الشراب الصافي
فأصبحتُ شامخاً ،
كجبل قاف
لا أدعي ذلك جُزافاً
أنا العاشق والمجنون . .
مقيم الحانات
والمحترق جذباً كالفراشة
هرب مني الصَّبر والقرار
وأبكي مُستغيثاً ،
ببابكم
لا أريد غير نور التجلِّي
قل لي :
فيم النجاة وأين المهرب . . ؟!
أصبحت ،
من مفرق الرأس الى القدم
[كالبريان][3]
باقٍ على عهد الوفاء والاخلاص
. . . على السير في طريقِ ،
الذوق والصفاء
والوجدِ والحال
بعيداً عن القال والقيل
سلكت السَّبيل الوعرْ . .
وقلبي هو الدليل
مُباح لي السكر والشراب
بتاتاً ،
لا يبارح الكأس يَدي
كأس فائض بخمر [ألَستْ]
هتف بي الغيب
إنك قد أفلحت يا هذا
وأصابك سهم الطرب . . .
والفرح
أكرر ابداً
بأني الواله والمجنون
عجباً
كيف تحسن الحديث عن العشق . . ؟!
وتجيد إرتشاف
كؤوس الطلاء . . ؟!
عُد الى خلوتك
أيها [الخلوتي] . . .
ولا تبح بنوافج الاسرار ،
للغير !

[3]

أنا ثَمل بخمر العشق[4]
أنا مصر وبغداد ودمشق[5]
الظاميْ أبداً
الى ماء الوصال
لقد حار قلبي ،
في هذا [الحي] ذي الجلال
وتحول هذا الكبد الى كباب
. . . هذه المدينة العامرة
الى خراب
أنا الساقي والمسقي والكأس

الأنس والجن والملك
. . لا أعرف غيره ، هو
أنا الكأس والخمر والمقام
الخادم والعرش والسلطان
. . . لا أعرف غيره ، هو
أنا المشرق والمغرب والظلام
السِّراج والفراشة والنور
. . لا أعرف غيره، هو
أنا عَين الحياة
وسفينة نوح والنجاة
السالك والطريق والدليل
الجبل والطور والكليم
. . لا أعرف غيره، هو
أنا المشكلة والعقد والحل
الخفي والسري والعيّان
صاحب القلب السَّليم
ندرة أهل الزمان
. . . لا أعرف غيره، هو
أنا المُشتري والمال والقماش
العنبر والبخور والمسك
النار والنُّور والنَّورُ(3)
لا أعرف غيره، هو

أنا الولهان والسكران والمجنون
الوعد والفراق والوصال
البلبل والورد والتغريد
. . . لا أعرف غيره، هو
أنا [الخلوتي] الصامت الأطرش
رغم بيعي الخمور في الحانات
أخفي السِّر سريعاً
. . . لا أعرف غيره، هو

[4]

ماذا أقول عن المقام
والحال. . . ؟!(3)
ولماذا تُحلون دَمي . . ؟!
لقد إحترق قلبي
حتىٰ أصبحت له عبداً
الكثيرون ساروا على البحر. .
لكنهم
لم يدركوا ما في القاع !
ألقيت بروحي في اللَّهب
لهب نار الشمعة

معلق أنا
كالصيد بذؤابة المحبوب
العامة لا تدرك مقام العشق
ها أنذا تَمل بهذه الخمرة
أخترق الحُجُبَ والستائر
كي أصل عالم الوصال
مللت الفراق والقفص
أملي ،
تلك الطلعة البهية
لا رجاء لي،
إلا المعدن والجوهر
إنطلق ايها القلب
الى الأفق الارحب
كالطائر مُحطماً قفصه
بُشراكم
يا أهل الطريق
من هذه الجنان والالحان
لقد قضىٰ هذا [الخلوتي]
دهراً
في الترحال والسفر
فاحترق بنار
الغربة والفراق

الهوامش:

(1) الخلوتي = تخلص الشاعر، وطريقته الصوفية أيضاً.
(2) يكرر الشاعر بعد كل بيت في هذه القصيدة عبارة [ته‌ن ته‌له لات لا لا] ويشرح حفيده الشاعر الصوفي نورالدين البريفكي هذا الرمز فيقول:
ته‌ن = الجسد، الجسم، ته‌له = التّل، أي يتحول جسدي وكياني الى تلٍ محكم في حضور هوية الحق.
لات = حين ، أي حين يظهر الحبيب لا أرىٰ في الوجود غيره، فيفنىٰ هذا التل المحكم الذي هو أنا.
لا لا = تأكيد للعبارة السابقة أي لا أرىٰ، لا أرىٰ غيره.
(3) البريان = الطعام المشوي .
(4) يكرر الشاعر في هذه القصيدة عبارة [ته ثه‌نا ها يا هو] فيفك رموزها نورالدين البريفكي أيضاً ويقول:
يعني أنت أنا هو ، المتكلم والمخاطب والغائب، اذْ جميع الكائنات تُضمحل وتفنىٰ في حضور هوية الحق، فالعارف من رأىٰ الحق في كل ذرةٍ بلا تشكل ولا كيفية حيث لا كيف ولا أين.
(5) يقول [جامي] ان الصوفي لا يكون كاملاً ، اذا لم يَرَ الوجود كله مفنياً في جسدهِ، واذا لم يَر الله في كل شيءٍ، فلا يرىٰ شيئاً غير الله.
(6) النور = بفتح النون ، زهر النبات ابيض او أصفر اللون.
(7) يكرر الشاعر في هذه القصيدة عبارة [ته‌نم ته‌نىٰ وته‌ن ته‌نىٰ] فيشرحها نورالدين ويقول: ته‌نم = جَسَدي ته‌نى = واحداً ، الوحدة الشاملة، الكل واحد فَلا إثنينية، ولا للأنْتَ والأنا.